مكتوب

كانت المعلمة تشرح الدرس والتلميذات ينصتن لها في شغف، وفجأة يفتح الباب تطل منه المديرة برأسها الضخم، تكنس الفصل بنظراتها تبدد الصمت قائلة:

ـ غالية حسن المنصوري:

تقف صبية أنيقة الهندام، قصيرة الشعر خضراء العينين دقيقة الأنف، لم تتجاوز العقد الثاني من عمرها، كانت تجلس في آخر الفصل والمديرة تحدق فيها ثم قالت:

ـ احملي حقيبتك وتعالي..

الرعب يتملكها، التساؤل يمزقها، تخرج وراء المديرة تاركة زميلاتها، وهي في دهشة وذهول تتساءل:

ـ ماذا فعلت حتى تستدعيني المديرة؟

في حجرة الإدارة تقف الفتاة مرتبكة مضطربة، وقد وضعت حقيبتها فوق المنضدة وهي وسط بحر عميق من التساؤلات والحيرة، غير أن انتظارها لم يطل فقد التفتت إليها المديرة لتنقذها من دوامة الشك والتساؤل:

ـ والدك في المستشفى فاذهبي إليه.

ترتعد فرائض الفتاة، يتقلص وجهها، وتتساءل في لهفة:

ـ أبي؟ ماذا جرى له؟

ـ إنه بخير يا غالية لا تفزعي..

خرجت مهرولة مطلقة ساقيها للريح، لم تنتبه لنداء المديرة خلفها:

ـ حقيبتك يا غالية.

كانت تطارد الرصيف بساقيها كغزالة شاردة، العيون تكاد تخرج من محاجرها وهي تحملق فيها، تخرج من شارع (عمرو بن العاص) لتدخل إلى الشارع الرئيسي، حيث كانت الحافلة تقف في المحطة تهرول نحوها تدفن نفسها فيها، تتحرك في بطء تهمس الفتاة بينها وبين نفسها:

ـ أبي اليوم في الصباح ونحن على مائدة الإفطار أخبرته أن يشتري لي فستانًا أعجبني.

فأجابني:

ـ عندما أعود من العمل سوف أشتريه لك. شردت بذهنها إلى سنوات الطفولة، وتلك الليلة المشئومة التي فقدت فيها أمها الحنون.

تذكرت كيف أغدق عليها والدها بحنانه وعطفه بعد رحيل أمها، ووفر لها كل ما تحتاجه، ولم يجعلها تشعر أبدًا بالحرمان، فكان هو كل شيء في حياتها، تصل الحافلة أخيرًا المستشفى تدلف نحوها تترجل منها مسرعة، تخطو نحو غرفة الاستعلامات، تسأل الموظف المختص عن أبيها وفي أي قسم هو؟ يومئ إلى ممرضة أن تصطحبها إلى القسم المذكور في الطريق تبادرها ملائكة الرحمة في تعجب:

ـ أنت أول فتاة أصادفها في حياتي لا تفقه شيئًا عن المستشفى.

لم تجبها فقد ذهب ذهنها بعيدًا وهي تسير خلفها، هذه المستشفى بالنسبة لها غول مخيف، سبق له أن خطف أمها من قبل، التي لم تخرج منها إلا إلى المقبرة.

تنتبه من شرودها على صوت الممرضة، وهي تشير لها إلى الغرفة التي يقبع فيها والدها، تقف أمام الباب مذهولة تقرأ عبارة (غرفة العناية الفائقة) يمنع الدخول.. تتمتم في غضب: لن يستطيع أحد أن يمنعني من رؤية أبي.

ما أن تطلعت إلى الداخل حتى تلاشت المرئيات من أمام عينيها، وسقطت فاقدة الوعي من هول ما رأت، لم تفق إلا بعد ساعة من الزمن، الممرضة كانت تقف بالقرب منها والطبيب يصيح فيها غاضبًا: من الذي أدخلها هذه إلى هنا؟

والدها مسجى على السرير يغطي جسمه (الشاش) الأبيض، تقترب منه والدموع تغسل وجنتيها في حزن وألم تصيح:

ـ أبي .. أبي ما الذي حدث؟

يأتي صوته واهنًا:

ـ صعقني التيار الكهربي عندما كنت أقوم بإصلاح إحدى وصلاته.

ـ حذرتك كثيرًا منه يا أبي كنت تقول لي دائمًا إنه كالعجين في يدي أشكله كيف ما أريد وأشاء ها هو قد غدر بك.

شرعت تبكي بحرقة، الطبيب يقف حائرًا، درجة حرارة المصاب ترتفع ينبعث صوت الأب من جديد خافتًا متقطعًا:

ـ لا تفزعي يا غالية هذا هو المكتوب.

لفظ أنفاسه الأخيرة، أطلقت الفتاة صرخة قوية مزلزلة، وهي تندب وتلطم وجنتيها .. أبتاااااااااه